معهد الدين القيم

باشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس

«شرح متن الجزرية»

شرح الشيخ «هاني السعافين أبي عمر» حفظه الله

الدرس رقم «9»

التاريخ: الاثنين 25/ذو الحجة/1440هـ

26/أغسطس(آب)/2019

الدرس التاسع من شرح متن الجزرية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، أما بعد:

فهذا هو المجلس التاسع من مجالس شرح المقدمة الجزرية ووصلنا عند قول الناظم:

وَالأَخْـــذُ بِالتَّجْوِيـــدِ حَتْـــمٌ لاَزِمُ ... مَـــنْ لَـــمْ يُجَـــوْدِ الْقُـــرآنَ آثِـــمُ
لأَنَّـــهُ بِـــهِ الإِلَـــهُ أَنْـــزَلاَ ... وَهَكَـــذَا مِنْـــهُ إِلَيْنَـــا وَصَـــلاَ
وَهُـــوَ أَيْضـــاً حِلْـــيَةُ الـــتِّلاَوَة ... وَزِينَـــــةُ الأَدَاءِ وَالْقِـــــرَاءَةِ
وَهُـــوَ إِعطْـــاءُ الْحُـــرُوفِ حَقَّهَـــا ... مِـــنْ كُـــلِّ صِـــفَةٍ وَمُستَحَقَّهَـــا
وَرَدُّ كُـــلِّ وَاحِـــدٍ لأَصلِـــه ... وَاللَّفْظُ فِي نَظِيرِهِ كَمِثْلِهِ
مُكَمَّـــلاً مِـــنْ غَيْـــرِ مَـــا تَكَلُّـــفِ ... بِـــاللُطْفِ فِي النُّطْـقِ بِـلاَ تَعَسُّـف
وَلَيْـــسَ بَيْنَـــهُ وَبَـــيْنَ تَرْكِـــهِ ... إِلاَّ رِيَـــاضَةُ امْـــرِئٍ بِفَكِّـــه

في هذه الأبيات يتكلم الناظم عن حكم تعلم التجويد.

فقول الناظم:

وَالأَخْـــذُ بِالتَّجْوِيـــدِ حَتْـــمٌ لاَزِمُ ... مَـــنْ لَـــمْ يُجَـــوْدِ الْقُـــرآنَ آثِـــمُ

يريد أن يبين لنا في هذا البيت أن حكم التجويد فرضٌ من لم يتعلمه يأثم.

لذلك قال:

وَالأَخْـــذُ بِالتَّجْوِيـــدِ حَتْـــمٌ لاَزِمُ ... مَـــنْ لَـــمْ يُجَـــوْدِ الْقُـــرآنَ آثِـــمُ

وفي نسخة أخرى صحيحة: مَنْ لَمْ يُصَحِّحِ الْقُرَانَ.

وقد تكلمنا سابقا عن حكم التجويد؛ وبينَّا أن التجويد بهذا المعنى الشامل لجميع الأحكام؛ من تصحيح اللفظ وكذلك ما يتعلق بالحروف من صفات من ترقيق وتفخيم وإطباق، والمدود، والإدغام، والإظهار، وما شابه، ليس واجبا ولكن:

- منه ما هو واجب هو الذي يستطيع الإنسان أن يتعلمه وإذا لم يتعلمه أدى به إلى اللحن الجلي بحيث يغير المعنى كرفع المجرور أو نصبه أو ما شابه.
- ومنه ما ليس واجبًا؛ الذي يؤدي إلى تحسين القراءة ولا يغير المعنى ولا دليلٌ على وجوب التجويد من الكتاب أو السنة ولا يصح فيه إجماع.

قال بعض الشراح الذين شرحوا كلام الناظم قال رحمه الله: "فإن اللحن على نوعين: جلي، وخفي"

فالجلي: خطأٌ يَعرِض للَّفظ ويُخل بالمعنى والإعراب كرفع المجرور ونصبه ونحوهما سواء تغير المعنى به أم لا.

والخفي: خطأٌ يُخل بالحرف كترك الإخفاء والقلب والإظهار والإدغام والغنة وكترقيق المفخم وعكسه ومد المقصور وقصر الممدود وأمثال ذلك.

ولا شك أن هذا النوع مما ليس بفرض عين يترتب عليه العقاب الشديد وإنما فيه خوف العقاب والتهديد ا.هـ

إذن لا يصح في ذلك إجماع كما يدعيه البعض حتى أنَّ أهل التجويد اختلفوا في حكمه -أهل هذا الفن- والصحيح أنه ليس واجبًا ولكن منه ما هو واجب ومنه ما هو مستحب.

الذي يؤدي تركه إلى الإخلال بالمعاني يجب على الإنسان أن يتعلمه إذا استطاع، والذي يؤدي تركه فقط إلى عدم تحسين القراءة لا يجب على الإنسان أن يتعلمه بل يستحب له ذلك.

وقوله:

لأَنَّهُ بِهِ الإِلَـهُ أَنْزَلاَ وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَلاَ

تعليل لما سبق؛ فكونه نازل من عند الله بهذا الوصف يلزم القراءة به كما نزل ولكن

يدفع القول بوجوب الأخذ بالتجويد الذي يجعل الأخذ به ليس واجبًا بل هو مستحب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «اقْرَءُوا فَكُلٌّ حَسَنٌ وَسَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقَامُ الْقِدْحُ»؛ هو السهم الذي كانوا يستقسمون به ((يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ))[1]؛ يعني يهتمون بحروفه ولكن لا يعملون به ولا يطبقونه، يريدون به الدنيا فلهم أجرهم في الدنيا من السمعة والذكر وأما الآخرة فليس لهم نصيب.

وأيضا الذي يقوي القول بعدم الوجوب؛ الحرج العظيم المترتب على ذلك أنك إذا أوجبت على الناس أن يتعلموا التجويد في هذه الصورة من المدود والإخفاء والإظهار وما شابه سيكون على الناس حرج عظيم.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [3]ولو أوجبنا ذلك على الناس لأثم خلق كثير.

أما احتجاجهم ببعض الآيات على وجوب التجويد فليس فيه وجه للاحتجاج لأن المراد من هذه الآيات قراءة القرآن على مهل مثل قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[4] وغيرها من الآيات ولا يراد به أن يقرأه بهذه الصفة الموجودة في علم التجويد من المدود والإخفاء والإظهار وما شابه

وقوله:

وَهُـــوَ أَيْضـــاً حِلْـــيَةُ الـــتِّلاَوَة وَزِينَـــــةُ الأَدَاءِ وَالْقِـــــرَاءَةِ

هذا واضح أن التجويد وإعطاء الحروف حقها ومستحقها وإخراج الحرف بصفته ومن مكانه والإدغام والإظهار وما شابه كل هذه تعطي التلاوة زينة تجمل القراءة.

ثم قال:

وَهُـــوَ إِعطَـــاءُ الْحُـــرُوفِ حَقَّهـــا مِـــنْ كُـــلِّ صِـــفَةٍ وَمُستَحَقَّهَـــا

1- رواه أبو داود في سننه (830)، وصححه الألباني في الصحيحة (259).

2- [الحج: ٧٨]

3- [البقرة: ٢٨٦]

4- [المزمل: ٤]

هذا هو تعريف التجويد؛ أن تعطي الحرف حقه ومستحقه من الصفات

وقال:

وَرَدُّ كُـــلِّ وَاحِـــدٍ لأَصلِـــه وَاللَّفْظُ فِي نَظِيرِهِ كَمِثْلِهِ

أي أيضا أن تردَّ الحرف إلى مكانه أي أن تخرج الحرف من مكانه أي من مخرجه، هذا هو التجويد أن تعطي الحرف حقه ومستحقه من الصفات وأيضا أن تخرج الحرف من مخرجه الأصلي.

وقوله:

---------- وَاللَّفْظُ فِي نَظِيرِهِ كَمِثْلِهِ

اللفظ في نظيره كمثله؛ قيل: أنه يعني بذلك الأخذ بالتجويد في كل حرف

يعني إذا أخذت في حرف تأخذه في بقية الحروف يعني ما تأخذ التجويد مثلا وتطبقه في بعض الحروف وتترك بقية الحروف أثناء القراءة.

وقيل: وهو الأجود؛ أنك إذا مددت مثلًا في مكان أربع حركات فإنَّك تمد في المكان الآخر أيضًا بأربع حركات طبعًا هذا كله بشرط جوازه في الحرف، أن يكون حرف مد وأن يكون هنا المد أربع حركات هذا مهم.

مثلًا: العارض للسكون تريد أن تقرأ مثلًا بالفاتحة تقول: ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في الثاني لا تمد ست، هنا قمنا بالمد أربع حركات نقول: ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فقط إذا قرأنا في الأولى بِسِتّ مثلًا: ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[5] هكذا يعني، تناسق بين القراءة في الآية الأولى والآية الثانية في الحرف الأول والحرف الثاني وهكذا.

5- [الفاتحة: 2-3]

وقوله رحمه الله:

مُكَمَّـــلاً مِـــنْ غَيْـــرِ مَـــا تَكَلُّـــفِ بِـــاللُطْفِ فِي النُّطْـقِ بِـلاَ تَعَسُّـف

وَلَيْـــسَ بَيْنَـــهُ وَبَـــيْنَ تَرْكِـــهِ إِلاَّ رِيَـــاضَةُ امْـــرِئٍ بِفَكِّـــه

هذه جملة حالية أي حال كون القارئ مكمل لصفات الحروف ولكن من غير تكلف وارتكاب مشقة وهذا كله يأتي مع التمرين والتدريب وأن يتلطف بالنطق أثناء القراءة بلا تعسف بحيث يقوم بالنطق بالألفاظ بما يوافق جادَّة الأداء ولا يخرج عنها إلى إفراطٍ أو تفريط، يعني يقرأ قراءة موافقة لأحكام التجويد دون إفراط ولا تفريط يعني لا يمد في المكان أو في حرف المد الذي يُمد ست حركات يمد سبع أو ثماني أو ما شابه، ست حركات يمد سبع أو ثمان أو ما شابه هذه زيادة، وكذلك لا يقصر يمد في مكان الست أربع أو ثلاث أو أقل أو ما شابه بل عليه أن يبقى موافق لجادة الأداء.

وليُعلم أنَّ القراءة على ثلاثة مراتب:

- **التحقيق**: وهو القراءة ببطء وتمهل مع مراعاة الأحكام ولكن بشرط أن لا يخرج إلى التمطيط.
- **الحدر**: القراءة السَّريعة أيضًا مع مراعاة الأحكام فلا يخرج بها إلى التخليط والإدماج؛ يخلط بين الحروف أو بين الكلمات وما شابه.
- أما **التدوير**؛ هذه متوسطة بين الحدر والتحقيق وذكر أيضا أهل العلم الترتيل وهي: القراءة أيضا بتؤدة وطمأنينة مع مراعاة الأحكام.

ومنهم من يقول:

- أن التحقيق يُقصد بها التعليم،
- وأما الترتيل فلا يقصد منها التعليم والله أعلم،

ولك أن تقرأ بواحدة من هذه القراءات وتراعي أنك لا تخرج بالتحقيق أو الترتيل إلى التمطيط، وأيضا لا تخرج بالحدر إلى التخليط والإدماج.

وهنا مسألة نتكلم عنها ألا وهي: **قراءة القرآن بتلحينه وتطريبه**

قراءة القرآن بالتلحين والتطريب؛ إذا كان هذا التلحين أو هذا التطريب موافقا للجبلة يعني جبلة الإنسان وهي تحسين الصوت يعني أن تحسن الصوت بقراءة القرآن من غير تكلف فهذا جائز وعليه يحمل قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن))[6] ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن))[7].

فهذا محمول على تحسين الصوت ولكن بما يوافق الطبع بعيدا عن التكلف وبعيدا عن الألحان الموسيقية وبعيدا عن المقامات فنسمع في هذه الأيام من يقرأ بالمقامات وهذا حرام؛ قد أفتى أهل العلم بحرمته.

قراءة القرآن وفقا للإيقاعات الموسيقية ووفقا للمقامات الغنائية هذا لا يجوز وقد ذم السلف الصالح ذلك ومنهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى، وقد أفتى إمام عصرنا الشيخ ابن باز رحمة الله عليه بحرمة ذلك وقال: "أنه لا يجوز للمؤمن أن يقرآ القرآن بألحان الغناء وطريقة المغنين، بل يجب أن يقرأه كما قرأه سلفنا الصالح من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه بإحسان فيقرأه مرتلا متحزنا متخشعا حتى يؤثر في القلوب التي تسمعه حتى يتأثر هو بذلك أما أن يقرأه على صفة المغنين وعلى طريقتهم فهذا لا يجوز". اهـ

لذلك نفرق بين:

---

6 متفق عليه، البخاري (5024) ومسلم (792).

7 البخاري (7527).

- التغني بالقرآن الذي يوافق الطبيعة من تحزين الصوت به وتحسين الصوت به هذا جائز لا إشكال فيه،
- وبين التغني بالقرآن بحيث أن نخرجه بما يوافق الألحان الموسيقية والإيقاعات وما يوافق المقامات كما تعلمون فهذا لا يجوز.

نكتفي بهذا القدرلهذا اليوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.